University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العشرون – 30/ مايو 2017

الجذور المعرفية والفكرية للتسامح الديني في الحضارة

د. مقبولة مسعود على العوامي.

(أستاذ مساعد بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة بنغازي – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العشرون – 30/ مايو 2017

الجذور المعرفية والفكرية للتسامح الديني في الحضارة

الملخص:

إن موضوع التسامح الديني من الأهمية بمكان ،وخصوصاً في هذا العصر الذي كثر فيه الطاعنون، في دين الإسلام، ومحاولة تشويه حقيقته المشرقة، وفي هذا البحث أوضحنا مدى المساحة التي أتاحتها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكتابات علماء المسلمين لمعاني الرحمة والعفو، وأن هذه المعاني هي مبادئ التسامح التي تجذرت في تاريخ الإنسانية قبل ظهور الإسلام وبعده، وفي الوقت نفسه هي مظاهره وثمراته. وفي هذا البحث أوضحنا الجذور الإيجابية لمعاني التسامح، والتي هي جزء من طبيعة الإسلام وجوهره، حيث طبع التسامح سلوك المسلمين بقدر التزامهم لمنهج الإسلام في كل العصور والأقطار وقد ظهرت آثار ارتباط التسامح بالإسلام، في إلغاء التميز العنصري، وقبول التعددية والتعايش مع الآخر بصورة ندر وجود مشابه لها في تاريخ الحضارات المختلفة.

The Epistemological and Ideological roots of Religious Tolerance in the Civilizations

Research Summary

The religious tolerance topicis so important, and especially these days where plague has multiplied in the Islamic religion, and attempts to falsify its bright reality have increased.In this research, we clarifiedthe extent of space provided in the verses of the Holy Koranand the purified Sunna, and the writings of Islamic Scholars of the meaning of Mercy and Pardon, which meanings are the principles of tolerance that was enrooted in the history of Humanity before the appearance of Islam and after it and were the manifestation and the fruits of it. In this research we clarified the positive roots of the meaning of Tolerance, and which is a part of the nature of Islam and its essence, where Tolerance characterized the behavior of Muslims in the measure of their compliance with the teaching of Islam in all ages and countries, and relation between Tolerance and Islam, in abolishing racial segregation, and the acceptance of diversity and co-existing with others in a way that was so rare in thehistory of other different civilizations

المقدمة:

لقد تعرض الإسلام والمسلمون في السنوات الأخيرة لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التي أرادت أن تلصق بالإسلام تهم التعصب والإرهاب وترويع الآمنين ورفض الآخرين، وغير ذلك من دعاوى لا أصل لها في الإسلام ولا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخي.

فالحضارة الإسلامية التي انطلقت من تعاليم الإسلام قد ضربت أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس، ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر في كل زمان ومكان.

لقد احتوت هذه الحضارة اختلاف الثقافات,وعملت على منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن أخرتهم فقبول اختلاف الآخرين سواء في-الدين أم العرق أم السياسة - هو التسامح الحقيقي الذي به ازدهرت الحضارة الإسلامية، وإن كان التسامح هو قبول اختلاف الآخرين. فالتسامح tolerance: يعني الاستعداد لاتخاذ الموقف المتسامح، ولذلك فالتسامح حين يوجد هو بمعناه العام موقف الناس الذين هم في المراكز القوية، بمن فيهم السياسيون نحو الناس الذين هم في مواقع أقل قوة؛ ولكنه يمكن أن يكون كذلك موقف الأكثرية السائدة من الأقلِّية.

إن كثيرا من بلدان العالم تشير إلى عالمنا الإسلامي اليوم بالاتهام فهم يصفون شعوبنا وحضارتنا بالتعصب والوحشية، وعلى الرغم من أننا لا ننفي التعصب وعدم التسامح عن تاريخ المسلمين نفيا مطلقا، ولكن يجب ألا ينكر البعض أن التسامح موجود في صلب العقيدة الإسلامية، وأن"الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها طبعته بطابع التسامح الذي قد يظهر للعين المدركة ولا يتفق مع روح التعصب التي اعتدنا تقليديا أن نربطها بالإسلام ولكن (لا إله إلا الله) وحدها تخلق التسامح."[1] إن فضيلة التسامح ضرورية إلى أقصى الحدود خصوصا في حضارتنا المعاصرة - لاسيما في أوربا - التي تشهد بروز مجتمعات متعددة الثقافات، وبها تنوع في الفوارق الدينية والمذهبية، فإن استطاع الناس ذووا لقناعات الدينية والأيديولوجية والسياسية المختلفة أن يعيشوا معا في مجتمع ديمقراطي تعددي، هنا يكتسب التسامح أهمية خاصة، ويصبح له الدور الأعم والفعال في ازدهار الحضارة، وبما أن الحاجة تدعو اليوم وبشدة إلى بعث الحياة في القيم الإنسانية السامية ونشرها، فقد يكون من الأهمية والضرورة التدقيق في مفهوم التسامح، وتبيان أهميته من خلال اتصاله بالحياة الاجتماعية.

وفي هذا البحث سوف أتطرق إلى التسامح في العقيدة الإسلامية، وفي تاريخ الإنسانية ما قبل الإسلام وبعده.

1- تعريف التسامح:

يعتبر مفهوم التسامح من أكثر المفاهيم تداولاً في الفكر الإسلامي، فقد أثار اهتمام المفكرين والعلماء المسلمين على اختلاف انتماءاتهم ومذاهبهم، منذ المراحل الأولى لظهور الإسلام إلى اليوم، **فماذا يقصد بالتسامح؟ وما هي مصادرة، وركائزه في الإسلام؟**

- في اللغة العربية: جاء في (اللسان: سمح): السماح والسماحة: "الجود،ورجل سَمْحٌ وامرأة سَمْحَةٌ، وسَمْحٌ وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وسمح لي فلان أي أعطاني، وسمح لي بذلك: وافقني على المطلوب، والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا، وسمح وتسمح: فعل شيئا فسهل فيه، وقولهم: الحنفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة."[2]

- **مصادر التسامح في الإسلام:** إن مصادر ثقافة التسامح في الإسلام أصيلة ومتنوعة منها على سبيل المثال: القرآن الكريم، الذي به الكثير من أسس وأصول التسامح التي تخاطب الإنسان وتحثه عليه، والحديث الشريف، والواقع التاريخي الذي به الكثير من الدلائل والأحداث التي وقعت بين المخالفين لعقيدة الإسلام، وكيفية تناولها من منظور الإسلام، فمصادره كثيرة ومتنوعة "و إن كانً فعل سمح ومشتقاته (سميح، ومسمح، ومسماح) لم يرد في القرآن الكريم، ولكن وردت كلمات تعطي المعني ذاته، مثل "الصفح" "والإحسان" اللذان هما ضد التعنت، والتعصب، والتطرف، والغلو."[3]

لقد ورد **الصفح** في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة البقرة آية 109)** وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزخرف آية 89)** وورد **الإحسان** في عدة سور منها قوله تعالى: ﴿**قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (سورة البقرة آية 83)** وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾ (سورة النحل آية 90).**

فالتسامح الذي هو **الصفح**، و**العفو**، و**الإحسان** نظرة إنسانية لا يمتلكها إلا الإسلام.

وفي الحديث الشريف"اسمح يُسمح لك"[4]، أي سَهَّل يُسهل عليك.

- **ركائزه:** إن ركائز التسامح في الإسلام كثيرة ومتنوعة منها على سبيل المثال:

أ- إقرار التعددية أو التنوع: وهي بمثابة الركيزة الأولى، فهي ظاهرة طبيعية، وسنة كونية، فإذا كان المؤمن يؤمن بوحدانية الخالق، فهو يؤمن بتعددية الخلق في مجالات شتى.

والتعددية في الثقافة ثراء للفكر، وإقرار الإسلام بتعدد العقائد، إقرار بمشيئة الله يقول الله عز وجل: **﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالونَ مُختَلِفينَ (هود آية118).**

ب- اختلاف الدين واقع بمشيئة الله تعالى: وهي الركيزة الثانية، المرتبطة بحكمته سبحانه، فلا يشاء إلا ما كان فيه حكمة، فالله لا يخلق شيئاً باطلاً، ولا يشرع شيئاً عبثاً، فالقرآن قد أعلن أن هذا الاختلاف الديني واقع بمشيئة الله عز وجل يقول تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام: آية 35).**

ج- حساب المختلفين يؤجل إلى يوم القيامة: وهي الركيزة الثالثة التي تقر أن حساب المختلفين في ديانتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم الدينية والأخلاقية التي نشؤوا عليها، يكون على خالق الجميع على الله وحده، وليس في هذه الدنيا، ولكن في الدار الآخرة، يوم القيامة، والقرآن الكريم أقر ذلك في عدة مواضع منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّـهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ (سورة الحج الآيتان 68- 69).**

د- اعتبار البشرية كلها أسرة واحدة: وهي الركيزة الرابعة التي توضح أن نظرة الإسلام إلى البشرية كلها مهما اختلفت أجناسها وألوانها ولغاتها بوصفها أسرة واحدة تنتمي من جهة الخلق إلى رب واحد، يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء آية1).**

هـ- البر والقسط للمسالمين من غير المسلمين: الركيزة الخامسة التي بها نستطيع أن نُجمل تعليمات الإسلام في معاملته للمخالفين له يقول تعالى: **﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ**

الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ (سورة الممتحنة: الآيتان 8،9).

و- العداوات بين الناس ليست أمرا دائما: وهي الركيزة السادسة التي غرسها الإسلام في عقول وضمائر المسلمين، وقررها وعلمها لهم، وتكمن في أن العداوات بين الناس ليس أمراً دائماً، فالناس قد يعادي بعضهم بعضا، لأسباب مختلفة، دينية أو دنيوية، ولكن هذه العداوات سواء كانت على حق أو باطل، لا تدوم، فالقلوب تتغير، والأحوال تتبدل فلا ينبغي أن تسرفوا في العداوة، حتى لا يبقى للصلح مكاناً، والقرآن الكريم قد نهى عن ذلك يقول تعالى: **(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّـهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴿٦﴾ عَسَى اللَّـهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّـهُ قَدِيرٌ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ (الممتحنةالايات4-7)** هذه السورة هي حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي والدولة في المجتمع المدني. في صورة عملية واقعية.

- إن العالم الذي يريده الإسلام عالم (رباني إنساني) رباني بمعني أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله، وإنساني بمعني أنه يشمل الجنس الإنساني كله - في رحاب العقيدة - وتذوب فيه فواصل الجنس واللغة والوطن والنسب وسائر ما يميز إنساناً عن إنسان عدا عقيدة الإيمان، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان.

ب- في اللغة الغربية:

يظهر من خلال لفظ كلمة:"تسامح في اللغات الغربية وغيرها الإنجليزية والفرنسية أن هذا التعبير: **Tolerance, Toleratio** يراد به - بحسب - تعريف القواميس الإنكليزية والفرنسية لهذه الكلمة أنها السماح لشيء ما أن يُفعل مع أنك لا تحب هذا الشيء، فتستعمل هذه الكلمة مثلاً في سماح الدولة بالتدخين أو شرب الخمور مع أنها تدرك أذى ذلك،ومن الكلمات المرادفة لهذه الكلمة **Lenience, indulegence** وغيرهما." [5]

"ويشتمل هذا المفهوم في اللغات الأجنبية على معنى وجود هامش للتسامح، فهو يستعمل عند عدم وجود معيار دقيق في الموضوع،كحالة عدم وجود دقة مطلقة في المنتَج، ووجود عتبة عليا وأخرى دنيا لهامش الخطأ."[6]

2- التسامح الديني عند اليونان:

يقول **فولتير**[*]**(Voltaire1694-1778)** "إن مثال التسامح الديني وجدناه عند الإغريق فقد اجمعوا على أن ديانتهم المختلفة أشبه بعرى تربط بينهم وبين بقية البشر، إن دياناتهم كانت بمثابة رابطة للجنس البشري" حتى آلهة الأعداء كانت تحترم وتجل فالطروادیون كانوا يرفعون صلواتهم إلى الآلهة عينها التي كانت تناصر الإغريق في قتالهم،وقد قصد **الأسكندر الأكبر**[**] الصحاري الليبية؛ لاستشارة الإله أمون الذي أطلق عليه الإغريق اسم **(زويس)** واللاتين اسم **(جوبيتر)** مع أنه كان لهم **(زويس) أو(جوبتر)** غيره يتعبدون له في بلادهم."[7] هذا يعني أن الدين جاء في الأصل يجمع بين البشر بالرغم من اختلاف معتقداتهم وأفكارهم وثقافتهم، وكثيراً ما يلطف من هيجانهم يقول **فولتير:** "فالإغريق على سبيل المثال لم يعارضوا بالرغم من تدينهم الشديد إنكار **الأبيقوريين**[***] لعناية الإلهية ولوجود النفس، ولن أتكلم عن الشيع والنحل الأخرى التي كانت جميعها تخالف الفكرة القويمة التي ينبغي أن تكون للبشر عن الإله الخالق، ومع ذلك كانت جميع هذه الفرق مباحة أو مغضوضا النظر عنها"[8] إن الإعلاء من

شأن التسامح الديني لا تبطله الأحكام التي صدرت ضد **انكساجوراس**[****](**500-428 ق.م Anaxagor**) **أوسقراط**[*****] **(Socrate 470 -399 ق.م)** فالمطلع على أسرار البنية الثقافية والفكرية يستوقفه الصراع بين الفلاسفة والمثقفين في عصرهما بشأن تحديد المنهج السليم للوصول إلى الحقيقة، ولهذا ذهب **(سقراط)** ضحية فريق حانق من المنتسبين لمناهج تربوية باطلة، فكانت تهمة التفكير أسهل التهم كما هو الحال في العصور التاريخية اللاحقة ومن ثم فإن "أحرى بأعداء التسامح أن لا يستشهدوا بالمثال الشائع الذي أعطاه قضاة سقراط"[9].

3- التسامح في الفن اليوناني:

إذا كانت قصة التسامح مرتبطة على المستوى الفردي بقضية الإيمان والأخلاق الدينية، فإنه أي التسامح مرتبط أيضاً منذ أقدم العصور بالسياسة والحروب، فالحروب المدمرة لا تؤجج نار الحقد على الآخرين فقط بل ينبثق عنها في بعض الأحيان الدعوة إلى السلام وفتح باب التسامح على مصراعيه، وقد دخلت فكرة السلام والتسامح في الأدب المسرحي الكوميدي في القرن الخامس قبل الميلاد عند الإغريق، وكان ذلك خلال حرب **البلوبونيز PEL0PNNESE** الدائرة لأكثر من أربعين سنة بين **أثينا و اسبرطا**، وهي الحرب التي كادت أن تأتي على الأخضر واليابس لولا تدخل أهل التسامح وهم من نسوة أهل القوم كما عرض **أريستيفانوس**[*] **ARISTOPHANE (ق.م 386 – 450)** أوارسطوفا، ويكتب **أريسطوفانيس**، أعظم من قدم الكوميديا في تاريخ اليونان من خلال مسرحية **(ليزيستراتا) La Lysistrata** الهادفة لرفض الحرب، ورفع شعار التسامح في صورة كوميدية بحتة والجدير بالذكر أن **ليزيستراتا** اسم المسرحية هو نفسه اسم بطلة المسرحية الفكاهية.

والمضحك في مسرحية **ليزيستراتا** ينطلق من دعوة بطلة المسرحية إلى تنظيم نسائي يدعو إلى إيقاف الحرب المشار لها أعلاه والتي بدت أنها لانهاية لها، لكن الجدير بالذكر والمثير للفكاهة هو دعوة هذا التنظيم إلى هجر الزوجات لأزواجهن في المضاجع ومقاطعة الحياة الجنسية مع أزواجهن المحاربين ما لم يستتب السلام واللجوء إلى التسامح، وبدون الدخول في تفاصيل المقاطع المضحكة في التحايل من عضوات التنظيم على القواعد المتفق عليها أبرزت مسرحية **اليزيستراتا** الكراهية التاريخية لفكرة الحرب وإبداع أساليب كوميدية في الجنوح لفكرة السلام والتسامح الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى التسامح خاصة في أحلك الظروف.

انطلاقا من مقولة من النقيض يخرج النقيض، كما هو معروف في المنطق الديالكتيكي، فإن الحرب صانعة السلام لا محالة، ولكن السلام سواء كان سابقاً على شبح الحرب كما يحدث في مبادرات الصلح بين الخصوم أو مصاحباً أو لاحقاً لها، كما لاحظناه في الحروب الكونية الأخيرة كثيراً عندما تستدعيه دوافع إنسانية أخرى، من أهم هذه الدوافع الإنسانية تبرز فضيلة التسامح الأخلاقي التي يدفع بها كبار العقول من الحكماء والفلاسفة بمنأى عن مفهومها السياسي الخاضع عادة لمواقف الغالب والمغلوب، ومفاهيم النفاق السياسي. وفي هذا الشأن الأخير يثير انتباهنا كتابات فلاسفة العصر الحديث من أمثال **جون لوك*** **Lock** (MILL-JOHN STUART-1806-1873) في كتابه رسالة في التسامح، وجون ستورت مل** Lock-JOHN-1632-1704) في كتابه عن الحرية، وفولتير(VOLTAIRE-FRAWCOIS-MARIE-1694-1778) في كتابه رسالة في التسامح (Traite sur la teleramce.

4- التسامح قيمة أساسية في تعاليم الإسلام:

إذا نظرنا إلى واقعنا وواقع العالم اليوم نجده في أشد الحاجة إلى التسامح والتعايش الإيجابي أكثر من أي وقت مضى؛ وذلك لأن تقارب وتواصل الحضارات الذي يزداد يوماً بعد يوم بفضل الثورة التكنولوجيا، وتطور المعلومات والاتصالات، التي عملت على إزالة الحواجز الزمنية والمكانية بين الأمم والشعوب، فأصبح العالم يعيش في قرية كونية صغيرة، جعلت من الصعوبة أن تعيش الشعوب في عزلة عن بعضها البعض.

وإذا نظرنا إلى رسالة الإسلام نجدها تتجه إلى البشرية كلها، فهي رسالة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وترسي دعائم السلام في الأرض، بما تشمل من دعوة إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، فالكل خُلق من نفس واحدة يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء آية1).** إن معنى التسامح في تعاليم الإسلام عام وشمولي، فهو لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب، وإنما يتعداه إلى جوانب الحياة كافة، فالإسلام يحمل في داخله العديد من القوانين الإنسانية المليئة بالرحمة والتسامح تلك القوانين كان لها الدور الفعال في نشر الإسلام في شتى أرجاء العالم، وكان لها الدور الأكبر في تقدم المسلمين منها على سبيل المثال لا الحصر قانون: اللين واللاعنف والبطش وترسيخ التسامح، والاعتراف بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، ورفض ممارسة انتهاك الحقوق والخصوصيات، فمنظومة الأخلاق الإسلامية تتطلب من المسلم الالتزام بمضمون مبدأ التسامح الذي أكد عليه القرآن الكريم فهناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم ونبذ العنف مثل قوله تعالى: **﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا** (الشورة آية 13) **وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** (العنكبوت آية 46) فبالكلمة الحسنة يصل الحق إلى القلوب ليستقر فيها ويحرك الإنسان باتجاه الفضيلة؛ وذلك بسبب ما فيها من قدرة على الإقناع، وثبات الأفكار في القلوب والسلوك؛ لأن الرفق في الموعظة هو الذي يهدي القلوب و يأتي بخير بدلا من التأنيب فالدعوة بالحسنى تثير في الإنسانية الحب ولأخوة والخير بدلا من الدعوة بالقوة وفرض الفكر عن طريق الخوف، وقد أكد الإسلام على الدعوة بالحسنة فالله عز وجل يحذر رسوله من التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء، فيقول تعالى: **﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾** (الغاشية الايات 21-22) وقوله تعالى: **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (العمران آية 64) فهده الآية تحمل قيمة هامة في البناء والتعاون الحضاري عن طريق اللجوء إلى الحوار الذي به ينفتح الطريق لحل المشكلات والنزاعات، ففي الإسلام نجد الدعوة إلى الحوار بين الأديان؛ لما للأديان من تأثير عميق في النفوس،لقوله تعالى: **﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّـهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة آية 136)** فهده الآية ما هي إلا ترسيخ في قلوب المسلمين إن الأنبياء إخوة، لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان لا نفرق بين احد منهم على الإطلاق، فالكل في نظرنا أنبياء، ويتجلى تسامح الإسلام والمسلمين في احترامهم لأمكنة العبادات يقول الله عز وجل: **﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّـهِ كَثِيرًا (الحج آية 40).**

- إلى جانب القرآن الكريم نجد سيرة الرسول ﷺ أعظم صورة للسلم والسلام والتسامح فيقول ﷺ : **(إنما أنا رحمة مهداة)**[10] والقرآن الكريم يتحدث عن رسالته فيقول: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء آية107)** ففي الإسلام تعلو قيم التسامح والرحمة والسلم والسلام للناس كافة، كما أن قيمة التسامح في الإسلام تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته، وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، وكما أن

الاختلاف من طبيعة الأشياء، فلابد من الإقرار باختلاف البشر بطبيعتهم ومظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، وهدا يقود إلي القرار بحقهم بالعيش بسلام ودون عنف أو تميز لأي سبب كان: دينياً أو قومياً أو لغوياً أو اجتماعياً أو جنسياً أو ثقافيا أو سياسياً .. الخ . ففي الإسلام مبادئ وتعاليم تسعى إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الأديان، والثقافات، وجعل البشر جميعاً خلفاء في الأرض وشركاء و مسؤولين عن عمارتها مادياً ومعنوياً يقول تعالى: **{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (هود آية61)**. أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها.

5- قيام مجتمع إنساني يكون الخير فيه للجميع:

إن العقل الإنساني أجل نعمه أنعم بها الله على الإنسان؛ لذلك يوجه القرآن الكريم خطابه إلى العقل، كما يحث الإنسان على الاستخدام الأمثل له، هذا إلى جانب طلب القرآن من الإنسان أن يمارس حريته التي منحها الله له تلك الحرية التي هي شرط ضروري لتحمل المسؤولية؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الطاعة الآلية التي تجعل منهم عجزه عن العمل الحر المسئول، فيجب على الإنسان أن يحافظ، ويحرص على حريته شريطة أن لا يستخدمها فيما يعود عليه وعلى الآخرين بالضرر.

وفي سبيل قيام مجتمع إنساني يكون الخير فيه للجميع يجب أن تكون العلاقة الإنسانية بين أفراد البشر هي علاقة موجودات حرة يتنازل كل منهم عن قدر من حريته؛ لكي يتحقق المجتمع الإنساني المنشود، الذي لن يتحقق إلا إذا ساد التسامح بين أفراده، هذا التسامح يقوم على الاعتراف بحرية وكرامة كل إنسان، ونحن - المسلمين - مطالبون أخلاقياً ودينياً أن نكون متسامحين مع كل البشر بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية والأيدلوجية، وأن نحترم عقيدة وثقافة الآخر وخصوصياته الحضارية، وهذا هو التسامح الإيجابي يقول الله عز وجل: **(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (الممتحنة آية 8) فهذا النص القرآني يشتمل على أمور ثلاثة، **أولها:** أن الله سبحانه وتعالى لم ينه عن التسامح مع الآخرين **وثانيها**: أن التسامح مع الآخرين الذين لم يعتدوا على المسلمين والتعايش الإيجابي معهم بالبر والقسط هو العدل بعينه. **وثالثها:** التأكيد على أن من يسلك هذا السبيل يحظى بحب الله سبحانه وتعالى، وهنا يتضح لنا أن الرسالة القرآنية رسالة التسامح ونشر التسامح بين الناس على أوسع نطاق.

6 - انعدام العوائق أمام التسامح بالرغم من أختلاف المجتمعات البشرية:

إن اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها ليست حائلاً يعوق التقارب والتسامح والتعايش الإيجابي بين الشعوب.يقول تعالى: **{وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}(هود الآيات 118-119)** فهذا الاختلاف بين البشر يجب أن يكون دافعاً إلى التعارف والتعاون والتآلف؛ للنهوض بالحياة، بدلاً من أن يكون مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب. بل الأحرى أن يكون "هذا الاختلاف والتنوع دافعا إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل للمنافع وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء للحياة والنهوض بها."[11] من هنا يقول الله عز وجل: **{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات آية13)** فالتعارف هو الخطوة الأولي نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات فالاحترام المتبادل لوجهات النظر المختلفة بين الجماعات البشرية يعني التسامح واحترام حرية الآخرين، وهذا الاحترام للرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، أو مجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة، وإنما هدفه الأهم هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، للوصول إلى طريق التعاون المثمر الذي يعود على الجميع بالخير، وهنا يُعد التسامح والحوار قيمة حضارية نحن في أمس الحاجة إليها في هذا العصر ليس على مستوى الأفراد والجماعات، فحسب بل على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة. يقول تعالى: **{ قُلْ يَا أَهْلَ**

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران آية64). وقد بلغت السماحة في الفكر الإسلامي المستنير في هذا الصدد حداً لا نظيرا له، عبَّر عنه الشيخ **- محمد عبده (ت1905م)** قائلا :"إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر، ويعقب الشيخ **-محمد عبده -** على ذلك قائلاً: فهل رأيت تسامحا مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا"[12] حيث يحثنا الإسلام على ضرورة أن نتخذ طريقاً عادلاً متسامحاً مع الآخر طالما لم يسيء إلينا، فالحكم على المخالفين معنا يجب أن نتركه لله جل شأنه، فالتسامح عنصرُ جوهرىُ من عناصر عقيدة المسلمين، وهناك من الأمثلة الدالة على إقرار الإسلام للتعددية الدينية والثقافية، وإقرار مبدأ التسامح الكثير، ويتضح ذلك من خلال الموقف الإسلامي وحواره مع الأديان، فالموقف الإسلامي في أي حوار ديني يتميز بأنه موقف "منفتح على الآخرين ومتسامح إلى أبعد الحدود؛ ونحن نراه بين المذاهب والملل والديانات موقفا متميزاً، فقد أقر الإسلام منذ البداية التعددية الدينية، والثقافية، وصارت هذه التعددية من العلامات المميزة في التعاليم الإسلامية، فقد تأسس مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول إليها على التعددية الدينية والثقافية، ومارس المسلمون ذلك من بعده عمليا على مدى تاريخهم الطويل. ويؤكد ذلك ما يعرفه التاريخ من أن المسلمين لم يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام فالحرية الدينية مكفولة للجميع، وتُعدُّ مبدأ من المبادئ الإسلامية الذي أكده القرآن الكريم"[13] في قوله تعالى: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (البقرة آية 256)** وفي قوله تعالى في موضع آخر: **{فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شاءَ فَلْيَكفُر} (الكهف آية 29)**

- إن الحوار الإسلامي يتميز بأنه حوار متسامح إلى أبعد الحدود بعيداً عن فرض دين الإسلام بالقوة، أو كما يقول بعض الحاقدين عليه، والدليل على ذلك عندما كانت لهم - المسلمين - القوة والهيبة، نجدهم مازجوا أمماً "مختلفة الأديان دخلوا تحت سلطانهم من نصارى العرب، ومجوس الفرس، ويعاقبه القبط، وصابئة العراق، ويهود أريحا، فكانوا مع الجميع على أحسن ما يعامل به العشير عشيرة، فيتعلمون منهم ويعلمونهم، ويترجمون عنهم علومهم، وتركوا لهم الحرية في إقامة رسومهم، ويستبقون لهم عوائدهم المتولدة من أديانهم.

ولم يحفظ التاريخ أن أمة سوت رعاياها المخالفين لها في دينها برعاياها الأصليين في شأن قوانين العدالة ونوال حظوظ الحياة - بقاعدة - لهم ما لنا وعليهم ما علينا مع تخويلهم البقاء على طقوسهم وعاداتهم مثل أمة المسلمين، فحقيق هذا الذي نسميه التسامح بأن نسميه العظمة الإسلامية."[14] يقول المستشرق الإنجليزي **(سير توماس أرنولد 1846-1930م)** عن سماحة الإسلام "أنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، في ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوروبا في الأزمنة الحديثة، وأن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهاد التي قاست منه بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة لمبادئ التعصب وعدم التسامح."[15]

7- نماذج للتسامح من التاريخ الإسلامي:

إن التاريخ الإسلامي مليء بالوقائع التاريخية التي تحض على التسامح وتؤكد على ضرورة التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان على الرغم من اختلاف الديانات وتعدد الملل والنحل، والمثال على ذلك صحيفة المدينة التي تهدف بالأساس إلى تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة، وعلى رأسها المهاجرون والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم،حيث يتصدى بمقتضاه المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة، والتي بها صارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر،والمساواة والعدل. "فقد دُون هذا الدستور- **صحيفة المدينة** - بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب

رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفر قاء"[16] وكان من نصوص هذا العهد "المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف، وبنو الحارس من الخزرج، وبنو ساعدة، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمرو بن عوف، وبنو النبيت، وبني الأوس، على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ..، ومن حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لا يأثم أمره بحليفه وأن النصر للمظلوم، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله."[17]

- ومن التسامح الإنساني والديني في الإسلام : البر إلى الأسرى مهما كان مقدار الاختلاف معهم. قال تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (سورة الإنسان آية8).** ومعلوم أنه عند نزول هذه الآية كان الأسرى كلهم مشركون.

- تسامح النبي ﷺ حينما بعث إلى أهل مكة مالا مَع ما أبدوه له من عداوة:

فعن عبد الله بن علقمة الخزاعي (ت87هـ) عن أبيه (ت20هـ) قال":بعثني النبي ﷺ بمال إلى أبي سفيان بن حرب يفرقه في فقراء قريش وهم مشركون يتألفهم، فلما قدمت مكة دفعت المال إلى أبي سفيان فجعل أبو سفيان يقول: من أبر من هذا ولا أوصل - يعني النبي ﷺ إنا نجاهده ونطلب دمه وهو يبعث إلينا بالصلات يبرنا بها."[18]

- ومن التسامح في مجال العلاقات الاجتماعية : الكرم والإنفاق في وجوه الخير، والإيثار والمواساة، والتواضع، وحسن الخلق، والعفو والإعراض عن الجاهلين، واحتمال الأذى. وقد كان رسول الله ﷺ يزور غير المسلمين من اليهود والنصارى، ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويتصدق عليهم، وقد توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي؛ لتأمين نفقة نساء النبي، مع كثرة من كان يستطيع أن يأخذ منهم بلا رهن من المسلمين، ولكنه فعل ليعلم أمته التسامح مع من يخالفهم في الدين."[19]

- ومن التسامح في وسيلة الدعوة : أن تكون باللين والرفق، قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (سورة آل عمران آية 159)** وهذا التسامح ينطبق على الطغاة أيضا، فقد قال الله تعالى لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: **(فَقولا لَهُ قَولًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يَخشى (سورة طه آية44).**

- تسامح النبي ﷺ مع قريش عندما فتح مكة ومواجهة النبي ﷺ لقوة كانت تتصدى له بكل ما أوتيت من مال ورجال وعتاد،فلم يكن أحد أعدى للإسلام من أولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم وقاتلوهم ثم صدوهم عن المسجد الحرام، ولكن حينما تمكن النبي منهم وعلت كلمة الحق عليهم قال: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم.قال: **"اذهبوا فأنتم الطلقاء."** ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب (ت 40هـ) ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة دعا له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر و وفاء."[20] فلم ينزع النصر العظيم من النبي ﷺ سماحته وعفوه حتى أنه لم يسمح بتحويل مفتاح الكعبة إلى أهله؛ لأن حجابه البيت في بني شيبة الذي منهم عثمان بن طلحة (ت 42هـ).

- تسامح النبي مع وفد نجران: حينما "قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فقال رسول الله ﷺ دعوهم فاستقبلوا فصلوا صلاتهم."[21]

- إن فكرة الإسلام عن التسامح كانت من الوضوح بحيث لم تخف على المنصفين من مفكري الغرب، فالمستشرقة الإيطالية **(Vaglieri)** تقول: "إن تاريخ العقود الأولى من الفتح الإسلامي ليقدم لنا عديداً من الأمثلة على التسامح الديني الذي أبداه الخلفاء الأولون خاصة تجاه الأديان الإبراهيمية، تماماً كما فعل النبي ﷺ تجاه نصارى نجران من ضمان الحماية لمؤسساتهم الدينية، وكما أوصى قائده المبعوث بأن لا يضار يهودي بيهوديته كذلك فعل الخلفاء في وصاياهم لقادة الفتح .. نتيجة لذلك صار ما سنه النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده قانوناً مراعياً في العصور اللاحقة، وليس من المبالغة أن نؤكد أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلي التسامح الديني، ولكنه جعل التسامح جزءاً من القانون الإسلامي."[22] ويقول **(E.Blyden):** "حينما كان للإسلام السيادة السياسية في أسبانيا تمتعت الجماهير من سكان النصارى بحماية التسامح العريض،ولم يكن ذلك بدافع سياسي وإنما كان تطبيقاً لشريعة الإسلام كان مسموحاً للسكان الأصلين النصارى بأن يكون لهم قادتهم الدينيون، ومعابدهم، وأديرتهم، وأن يحكموا بقوانينهم الخاصة ومحاكمهم عندما تكون القضية بين طرفين غير مسلمين."[23]

مما سبق يتضح أن التسامح الذي لازم تاريخ المسلمين وأماكن سلطاتهم تجاه الأقليات المخالفة لهم في الأيديولوجية وقبول الإسلام التعددية الثقافية نظرياً وعملياً يدل على صلة التسامح الوثيقة بطبيعة الإسلام وجوهرة.

8- التسامح في الفلسفة الحديثة:

لابد لنا في البداية من القول إن الدعوة إلى فضيلة التسامح لدى كبار الفلاسفة الثلاثة الآنفي الذكر جاءت نتيجة للتحولات الأخلاقية الناتجة عن روح عصري النهضة والتنوير، وما صاحب ذلك من حروب دينية في مقدمتها حرب الثلاثين التي بدأت بين البروتستانت والكاثوليك ما بين**1618 و1648م** وما صاحبهما أيضاً من تطورات في مفهوم النزعة الإنسانية التي رسمتها قناعات فلاسفة هذين العصرين، والقائمة بالأساس على دعم مكانة العقل البشري في مقابل الفكر الغيبي كما تطرحه العقائد الكنسية.

جون لوك ورسالة التسامح:

أن مبررات التسامح عند **جون لوك** قائمة على تحليل نصوص الكتاب المقدس عقلياً و براجماتياً بعيداً عن فهمها وتطبيقها عاطفياً من خلال سلطة الكنيسة القائمة على التعصب الأعمى لاجتهادات شخصانية لأتباع هذه المؤسسة الدينية والعقائد المنبثقة عنها*، وهو أمر - كما رمي إليه **(جون لوك)** في رسالته عن التسامح - إلى نقد تعصب عقائدي كان ولازال سبباً في حروب دينية طاحنة في أوربا والعالم تظل أولى ضحاياها حياة الإنسان ومصيره الحضاري.

- كتب (**جون لوك) رسالة في التسامح**، والتي جاءت في مقدمة وثلاثة اعتبارات تهدف إلى الإقناع بأن قضية الإيمان بالعقيدة الدينية المسيحية هي أمر يخص الإنسان وربه ولا يجوز فرضها بالقوة عن طريق حاكم ديني أو مدني في إشارة إلى الكنيسة ونظم الحكم السياسي التي كانت تدور في فلكها، ورأى **لوك** تفرغ الكنيسة لأمور الآخرة وتفرغ الدولة وتفرغ الحكومات لأمور الدنيا، فكان ذلك أول دعوة لفكرة **العلمانية Laicism** الداعية لفصل الدين عن الدولة.

وفيما يلي بعض النصوص المعبرة عن نبذ التعصب والدعوة إلى التسامح تحت ستار الحكم المدني: "سيدي الموقر،حيث إنك تشعر بالغبطة ؛لأنك تتساءل عن أفكاري الخاصة بالتسامح المتبادل بين المسيحين المختلفين في مللهم، فأنا من أجل ذلك أجيبك بلا تحفظ وهو أنني أنظر إلى التسامح على أنه العلاقة المميزة للكنيسة الحقة."[24]

- "إن التسامح بين أولئك الذين يعتقدون عقائد مختلفة في أمور الدين يتسق تماماً مع العهد الجديد الذي أتى به السيد المسيح،كما يتمشى مع مقتضيات العقل الإنساني الحق، حتى إنه لأمر غريب عند الناس أن يكون المرء أعمى إلى الدرجة التي لا يرى فيها ضرورة التسامح ومزاياه في ضوء ساطع كهذا." [25]

- "ومن أجل أن لا يسعى آخرون، بدعوى الدين، إلى أن يجدوا في الدين خلاصاً لما يرتكبونه من إباحية وانحلال، ومن أجل ألا يفرض أحد على نفسه أو على غيره أي شيء تحت دعاوى الولاء والطاعة للأمير أو الإخلاص والوفاء في عبادة الله، أقول إنه من أجل هذا كله ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما، وإذا لم نفعل هذا فلن تكون هناك نهاية للخلافات التي تنشأ على الدوام بين من يملكون الاهتمام بصالح نفوس البشر من جهة، ومن يهتمون بصالح الدولة من جهة أخرى." [26]

ويستمر قائلاً: ".. يبدو لي أن الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيرات المدنية والحفاظ عليها، وتنميتها، وأنا أعني بالخيرات المدنية الحياة، والحرية، والصحة، وراحة الجسم، بالإضافة إلى امتلاك الأشياء، مثل المال، والأرض، والبيوت، والأثاث، وما شابه ذلك." [27]

يبرهن (جون لوك) على ما جاء في النصوص السابقة بقوله: يبدو لي أن الاعتبارات التالية تبرهن على ما سبق.

الاعتبار الأول: "لأن خلاص النفوس ليس من شأن الحاكم المدني أو أي إنسان آخر، ذلك أن الحاكم ليس مفوضاً من الله لخلاص نفوس البشر، وأن الله لم يكلف أي إنسان بذلك، لأنه لا يبدو أن الله قد منح مثل هذه السلطة بحيث يفرض دينه على الآخرين بالقوة .. لأنه ليس في إمكان أي إنسان، حتى لو أراد أن يكون إيمانه طبقاً لأوامر إنسان آخر لأن جوهر الدين الحق وقوته يكمنان في القدرة على إقناع العقل إقناعاً جوانياً شاملاً، كما أن الإيمان لا يصبح إيماناً دون اعتقاد، فمهما يكن ما تقره، ومهما تكن العبادة البرانية، فإنك لم تكن على قناعة تامة بصدق هذا الاعتقاد وهذه العبادة، وبرضا الله .." [28]

الاعتبار الثاني: "إن رعاية النفوس ليست من شؤون الحاكم المدني؛ لأنه يحكم بمقتضى سلطة برانية، بينما الدين الحق الذي ينشده خلاص النفوس ينشدا إقتناع العقل إقتناعاً جوانياً، وأي شيء خلاف ذلك لا يرضى عنه الله ، فمصادرة الأراضي ،والسجن،والتعذيب وما شابه ذلك، لا يمكن أن يُغير الحكم الجواني على الأشياء .. إن تغيير آراء البشر لا يتم إلا من خلال نور الأدلة البراهين، وهذا النور لن يبزغ أبداً من جراء العذاب الجسماني أو توقيع العقوبات البرانية." [29]

الاعتبار الثالث: كرس (**جون لوك**) الاعتبار الثالث للحديث عن الخلافات بين الكنائس المسيحية، وحشد كامل حججه لإثبات أن التعصب في عصره ناتج عن الخلاف بين الكنائس المسيحية التي يكفر بعضها بعضاً بتهم الهرطقة تارة، والشقاق تارة آخري، الأمر الذي أشعل نار التعصب، لكن **جون لوك** رأى أن التسامح هو مفتاح قتل الفتنة في مهدها بين الكنائس المسيحية المتصارعة، وبينها وبين بقية الأديان. يقول **لوك:** "وتأسيساً على ذلك فإن الأتراك (المسلمين) والمسيحيين من ديانتين متباينتين لأن الكتاب المقدس عند المسيحيين، هو قاعدة ديانتهم، والقرآن عند المسلمين، هو كذلك، ولنفس السبب يمكن وجود أديان متباينة بين المسيحيين، فعلى الرغم من أن البابويين واللوثريين يؤمنون بالمسيح وبالتالي فهم مسيحيون إلا أن ديانة كل منهما متباينة، فاللوثريون لا يعترفون إلا بالكتاب المقدس كقاعدة وأساس لديانتهم، أما البابويون فيضيفون إلى الكتاب المقدس التقاليد وقرارات البابوات ويتخذون منها جميعاً قاعدة لديانتهم." [30] ومع ذلك من الملاحظ أن (**جون لوك**) لا يضفي التسامح مع الذين ينكرون وجود الله، وقد جاء ذلك في قوله: "لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله، حتى لو كان بالفكر فقط يُفكك جميع الأشياء." [31]

نخلص من مشروع التسامح عند **جون لوك** إلى نتيجة مفادها أن التعصب **Intolerance** الديني بين المذاهب الكنسية كان سبباً في إشعال نار الحروب الدينية في عصره، لكن **(لوك)** رأى أن إخماد نار التعصب وشيوع التسامح بين أفراد المجتمع لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال فصل الدين عن الدولة بتحديد اختصاصات كل منهما في قوله: "حيث إن انضمام مجموعة من الأفراد إلى مجتمع الكنيسة،كما ذكرنا آنفاً، هو فعل حر وتلقائي خالص، يُصبح حق سن القوانين من اختصاص المجتمع، أو على أقل تقدير، من اختصاص هؤلاء الذين فوضهم المجتمع بالإجماع لينوبوا عنه في ممارسة هذا الحق."[32] هذا يعني أن التسامح من وجهة نظر (لوك) أنه " ليس من حق أحد أن يقتحم، باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية"[33] وهو أمر يرى فيه (لوك) أن التعصب الديني الذي ساد بين الكنائس المسيحية في عصره كان مصدراً رئيسياً للكراهية والتقاتل، ومن ثم فالفصل بين الدين والدولة أي العلمانية مدخل منطقي لنشر فضيلة التسامح، ووضع حد لدجماطيقية الدوغما.

فرانسوا مارى فولتير (Voltaire 1778-1694): من أشهر من كتب في موضوع التسامح من فلاسفة العصر الحديث نجد **(فولتير)** صاحب **"رسالة في التسامح"Traite sur La Tolernce**، والتي كتبها في غمرة غرق أوربا في محيط التعصب الديني الذي ساد فرنسا على وجه الخصوص ضد الأقلية البروتستانتية.

- استغل **(فولتير)** وهو كاثوليكي المذهب حادثة مثيرة للأسف في مدينة **تولوز** الفرنسية والتي أعدم فيها الغلاة الكاثوليك **(جان كالاس)** وزوجته، وزميل ابنه المدعو **(لافيس)** الذي قدم من مدينة **بوردو** لزيارتهم كانوا جميعاً على المذهب البروتستانتي باستثناء الابن **(مارك أنطوان)** الذي فضل الاعتقاد في المذهب الكاثوليكي الغالب على تلك المدينة بعد العشاء العائلي في تلك الليلة توارى **(مارك أنطوان)** الذي كان يعاني من اضطرابات نفسية عن الأنظار، والذي فوجئ الأب والصديق **(لافيس)** عند خروجهما لحديقة البيت بأنه كان مشنوقاً على باب بجوار مخزن أبيه دون أن تبدو عليه آثار عنف، كانت تلك المفاجأة غير المتوقعة سبباً في اضطراب الأب والأم وتعالي صراخهما ونحيبهما ما أدى إلى احتشاد أهل **تولوز** الكاثوليك حول الدار، متهمين **(كالاس)** وزوجته و**(لافبس)** بالانتقام من **(مارك-أنطوان)** بسبب اعتقاده بالمذهب الكاثوليكي. "ارتفع صوت أحد المتعصبين من الرعاع يعلن أن **(جان كالاس)** قد أقدم على شنق ابنه **(مارك - أنطوان)** وزاد آخرون أن الميت كان سيرتد عن البروتستانتية غداة ذلك اليوم، وأن أسرته و**(لافيس)** الشاب قد خنقاه كراهية بالدين الكاثوليكي."[34] فما كان من قضاة **تولوز** المتأثرين بتعصب الدهماء إلا أن يحكوموا عليهم بالإعدام، وقد زاد من تعصب الكاثوليك بهذه المناسبة الحزينة أن جعلوها عيداً يحتفل بها كل عام.

إن **(فولتير)** الذي كان يدين بالكاثوليكية لم يكن على وفاق مع المتعصبين لهذه العقيدة، فجاءت أفكاره في**"رسالة في التسامح"** دفاعاً عن عائلة **(كالاس)** والغبن الذي لحق بها من قبل موجة التعصب الكاثوليكي الأعمى دعوة للتسامح فبحث في الوصايا القديمة والجديدة ليثبت أن التعصب الديني لا علاقة له بالأديان، وأن التسامح يمثل صلب العقيدة المسيحية، وفيما يلي شيء مما ورد في هذا الشأن من دعوة للتسامح يقول**(فولتير):** "لقد وجد الدين ليجعلنا سعداء في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة؟ أن نكون صالحين، وما العمل كي نكون سعداء في هذه الدنيا في حدود ما سمح به بؤس طبيعتنا؟ أن نكون متسامحين."[35] ويُضيف قائلاً: "إنه لمن منتهى الحمق أن يدعي مدع أنه قادر على حمل البشر قاطبة على التفكير بطريقة واحدة في شؤون الميتافيزيقا، فتطويع الكون برمته بقوة السلاح أسهل بما لا يقاس من تطويع العقول في مدينة واحدة."[36]

- وفي حديث **(فولتير)** عن التسامح الكوني يخاطب **(فولتير)** المسيحيين أن يكونوا متسامحين بين أنفسهم، ومع من يختلفون عنهم دينياً.يقول **فولتير: "**لم أكن في حاجة إلى حذق كبير أو بلاغة متكلفة كما أثبت أن على المسيحيين أن يكونوا متسامحين فيما بينهم، غير أني سأذهب إلى أبعد من ذلك فأدعوكم إلى اعتبار البشر جميعاً إخوة لكم ماذا قد تجيبون أيكون التركي شقيقي؟ والصيني شقيقي؟ واليهودي؟ والسيامي؟ أجل بلا ريب؛ أفلسنا جميعاً أبناء أب واحد،ومخلوقات إله واحد؟**"** [37]

9- التسامح في الفكر المعاصر:

لما كانت بذرة التسامح تتجذر بين حين وآخر في أراضي قد توصف أحياناً بأنها أراضي بور لا ينمو فيها زرع، فإنها كما شاء لها الله في العصور الغابرة أن تنمو في ظروف صعبة لتثمر وتتكاثر وتطغي على بذور التعصب والكراهية، نجدها تنمو في عصرنا هذا بين حين وآخر بفضل الله عز وجل وأسبابه المختلفة المتمثلة في رجال السياسة الأخيار تارة، ورجال الدين تارة أخرى، ولما كان عصرنا هذا يغلب عليه للأسف التعصب السياسي والتعصب الديني بين الأديان المختلفة وحتى الدين الواحد، فإن حكمة التسامح تطل من حين إلى آخر كالنور الإلهي بين ظلمات صراعات التزمت الديني تارة، وبين أحفاد التميز العنصري تارة، وبين الصراعات السياسية المدفوعة بحب السلطة وشهوة التسلط تارة ثالثة. ففي هذا العصر الذي تشهد فيه الأمة الإسلامية تناحراً بين أبنائها بدعوى إصلاح الدين والدنيا والآخرة مدفوعة بدعاوى الكفر والتكفير، يجد المسلمون أصحاب التسامح والحق أنفسهم، أمام نصائح أعلام الأديان الأخرى لتذكرهم بنبع الخير في الإسلام، ومواقف النبي محمد ﷺ التاريخية في ظروف مماثلة لما نعيش فيها من تعصب وكبرياء زائف، يحضرنا في هذا المقام، وفي عصرنا هذا موقف إنساني ناضج من أتباع المسيحية يذكر العرب والمسلمين بمواقف نبيهم الكريم الأخلاقية التسامحية، ونعني بهذا المُذكر المناضل الأفريقي ضد التميز العنصري في بلادة جنوب أفريقيا **نيلسون مانديلا (Nelson Mandela 1918-2013)**، الذي اعتبره الكثيرون أيقونة النضال والتسامح. فقد عاش هذا الرجل 27 سنة في السجن بسبب نضاله ضد نظام الفصل العنصري **(Apartheid)** في بلاده **(جنوب أفريقيا)** بين البيض القلة والسود أهل الأرض. عندما خرج **مانديلا** من السجن تزعم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في **جوهانزبورغ**، ورفع شعار العدل والمساواة بين البيض والسود، ونبذ نظام **الآبار تأيد** المفروض من الأقلية البيضاء في البلاد.شاء **لنيلسون مانديلا** أن يفوز في انتخابات رئاسية ديمقراطية في بلاده ليكن أول رجل أسود رئيساً لجنوب أفريقيا، وفاز بجائزة **نوبل للسلام** إثر مواقفه غير الانتقامية مع من كانوا سبباً في تعذيبه وسجنه ما يزيد عن ربع قرن. قال **(مانديلا)** عند توليه الرئاسة في عام 1994: "ندخل في عهد لبناء مجتمع يكون فيه جميع مواطني جنوب أفريقيا السود والبيض على السواء، قادرين على السير برؤوس شامخة من دون أن يعتصر قلوبهم أي خوف، مطمئنين إلى حقهم الثابت بالكرامة الإنسانية..أمة قوس قزح بسلام مع نفسها والعالم.**"** [38]

- من مواقف **(مانديلا)** التاريخية التسامحية التي يحتسبها له التاريخ بجانب دعوته للتسامح ونبذ التعصب، هي "احتساؤه الشاي مع أرملة مهندس نظام الفصل العنصري **هندريك فير فورد**، وأيضاً عند ارتدائه قميص فريق **(سير نغبوكس)** للرغبي، كعربون تقدير للفريق الذي يضم في غالبيته لاعبين بيض البشرة بعد فوزه بكأس العالم للرغبي في عام **1995**.**"** [39] وشاء **لمانديلا** بعد تقاعده أن يحضر ما يُطلق عليه (الربيع العربي) وشاهد القتال الشرس بين المسلمين والتعصب الديني والسياسي الذي انتشر بين العرب والمسلمين، وتضاءلت دعوة الدين الإسلامي في التسامح، الأساسية في العقيدة الإسلامية، فآل على نفسه أن يدعو أصحاب هذا الربيع إلى ما قام به نفسه في هذه الظروف من استبعاد العزل السياسي، والفصل العنصري، متخذاً من دعوته هذه تذكير المسلمين بمبادئ دينهم الحنيف، وأخلاق النبي **محمد** ﷺ .

وفيما يلي موجز نصوص ما قاله مانديلا في عيد ميلاده للثوار العرب:

"إخوتي في بلاد العرب. إخوتي في مصر وتونس. أعتذر أولاً عن الخوض في شؤونكم الخاصة، وسامحوني إن كنت دسست أنفي فيما لا ينبغي التقحم فيه؛ لكنني أحسست أن واجب النصح أولاً، والوفاء ثانياً لما أوليتمونا إياه من مساندة أيام قراع الفصل العنصري يحتمان على رد الجميل وإن بإبداء رأي محصته التجارب وعجمته الأيام وأنضجته السجون .. أحبتي ثوار العرب، لازلت أذكر ذلك اليوم بوضوح كان يوماً مشمشاً من أيام **كيب تاون**. خرجت من السجن خرجت إلى الدنيا بعد أن وُريتُ عنها سبعاً وعشرين حجة؛ لأني حلمت أن أرى بلادي خالية من الظلم والقهر والاستبداد، ورغم أن اللحظة أمام سجن **فكتور فستر** كانت كثيفة على المستوى الشخصي إذ سأرى: وجوه أطفالي وأمهم بعد كل هذا الزمن، إلا أن السؤال الذي ملأ جوانحي حينها هو كيف سنتعامل مع إرث الظلم لنقيم مكانه عدلاً؟ إن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم، فالهدم سلبي والبناء إيجابي .."[40]

"تخيلوا أننا في جنوب أفريقيا ركزنا - كما تمنى الكثيرون - على السخرية من البيض وتبكيتهم واستثنائهم وتقليم أظافرهم، لو حصل ذلك لما كانت قصة جنوب أفريقيا واحدة من أروع قصص النجاح الإنساني اليوم، أتمنى أن تستحضروا قولة نبيكم (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)".[41]

- الخاتمة:

إن موضوع التسامح الديني من الأهمية بمكان، وخصوصاً في هذا العصر الذي كثر فيه الطاعنون، في دين الإسلام، ومحاولة تشويه حقيقته المشرقة، وفي هذا البحث أوضحنا مدى المساحة التي أتاحتها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكتابات علماء المسلمين لمعاني الرحمة والعفو، وأن هذه المعاني هي مبادئ التسامح التي تجذرت في تاريخ الإنسانية قبل ظهور الإسلام وبعده، وفي الوقت نفسه هي مظاهره وثمراته.

- تلك الجذور الإيجابية لمعاني التسامح هي جزء من طبيعة الإسلام وجوهره، حيث طبع التسامح سلوك المسلمين بقدر التزامهم لمنهج الإسلام في كل العصور والأقطار وقد ظهرت آثار ارتباط التسامح بالإسلام، في إلغاء التميز العنصري، وقبول التعددية والتعايش مع الآخر بصورة ندر وجود مشابه لها في تاريخ الحضارات المختلفة.

- إن التسامح فكرة وتطبيقاً يخضع لفكرة الانسجام والتكامل والتوازن التي تحكم تعاليم الإسلام ومبادئه وأحكامه، فهو لا يعني التفريط في أن تكون لله العزة وللرسول وللمؤمنين، ولا يعني الخضوع للظلم أو خذلان المظلومين، ولا يعني عدم التميز بين الحق والباطل، والتسامح الديني في الإسلام قد شمل بيسره ورفقه الناس حتى غير المسلمين، فتسامح معهم في كثير من القضايا والإحكام ومنحهم كثير من الحقوق وهناك الكثير من البراهين والنصوص والمواقف والنماذج العملية الدالة على سماحة الإسلام مع غيره من غير المسلمين، وقد وضحنا جزءًا بسيطاً منها في هذا البحث، تلك البراهين مثبتة في بطون الكتب والمراجع، فالإسلام دين التسامح الذي ألغى الكراهية الإنسانية وفتح الطريق للإخوة والمساواة بين بني الإنسان.

ولكن أين نحن الآن من التسامح الديني؟ من وجهة نظري أجد أن الكثير من المسلمين قد تخلوا عن تسامحهم مع أنفسهم، ففي هذا العصر قامت في البلدان العربية ثورات وهي ما تعرف باسم ثورات الربيع العربي، الهدف منها القضاء على دكتاتورية الحكام، ومنح الشعوب الحرية، ولكن للأسف أجد أن هذه ا الثورات قد بعدت كثيراً عن الهدف الذي قامت من أجله، فقام كل من له غرض سياسي

أوديني أو بالأحرى أطماع سياسية بقتل الآخر الذي لا يتفق معه في المذهب أو الحزب أو الفكر، وهذا يتناقض مع مفهوم التسامح .

وفي النهاية، من المؤسف أن يذكرنا مسيحي فاضل بمقولة نبينا الكريم في قوله **"اذهبوا فأنتم الطلقاء".**

- النتائج:

- إن توضيح تصور الإسلام في قضية التسامح، يلزمنا من المقارنة بينة وبين الثقافة الغربية المعاصرة، ولابد في هذه المقارنة من أن نفصل بين الإسلام - كما هو في حقيقته - وبين المسلمين على اختلاف عصورهم وأقطارهم، وذلك لأن وحدانية الإسلام لا تتغير، وإنما سلوكيات المسلمين مختلفة ومتعددة، لأن الإسلام عقيدة ومبادئ وأحكامُ، وليس "الإسلام أصنافاً من البشر يسمون مسلمين أو تاريخاً للمسلمين، إلا بقدر ما يكون الإسلام مطبقاً عملاً في حياتهم."[42]

- مما لاشك فيه أن الدين الإسلامي عامة، والأديان خاصة ،وكل ثقافات العالم منذ القدم إلى وقتنا المعاصر تدعو إلى التسامح، إلا انه يظهر بين الحين والآخر أفكار ومعتقدات تدعو إلى العدوانية والتعصب، تلك الأفكار ليست قاصرة على مجتمع بعينه، أو ثقافة بعينها بل هي ظاهرة عامة في كل المجتمعات، لذلك يجب أن يكون هناك إصرار من المسؤولين، ورجال الدين على بث الوعي بين الإنسانية في اكتشاف رؤية عصرية لمفهوم التسامح، من داخل قيم كل مجتمع، ومن طبيعته التشريعية، والقانونية التي تمثلها قيم الأديان ونظامها الأساسي، وذلك بطرح العلاقة بين التسامح وكل من الدين والايدولوجيا والفلسفة.

- التسامح اليوم ليس فضيلة فحسب، بل هو ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية ،لذلك ومن أجل تحصين واقعنا أمام كل المخاطر الزاحفة إلينا، والتي تستهدفنا في وجودنا ومكاسبنا وتطلعاتنا يجب تعميم وغرس هذه القيمة في فضائنا الاجتماعي،فنحن بحاجة إلى سياج قانوني وإجرائي يحمي هذه القيمة ويوفر لها الإمكانية الحقيقية؛ لكي تستنبت في تربتنا الاجتماعية، وهذا يتطلب منا ضرورة تجريم كل أشكال بث الكراهية والحقد بين أبناء الوطن والمجتمع الواحد، فاللحظة التاريخية تتطلب منا جميعا القبض على وحدتنا واستقرارنا، وهذا بطبيعة الحال يتطلب الوقوف بحزم ضد كل محاولات بث الفرقة والكراهية والحقد بين أبناء الوطن الواحد.

- الهوامش:

1- M .N.Roy .Historical of Islam P.P40 -41

2- أبن منظور ، لسان العرب ، مادة سمح ، المجلد 6، ط1، دار صادر، بيروت، 1997، ص106

وأنظر: سمير الخليل: التسامح بين شرق وغرب، دار الساقي، بيروت، 1992م، ص5

3 - شوقي أبو خليل: التسامح في الإسلام المبدأ والتطبيق، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993، ص42

4-احمد ابن حنبل، مسند الإمام احمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الارناؤوطي وآخرون، ط2 ، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 1999م.

5- دافيد كارفر وآخرون: معجم كولنز ، ط1، لندن، 1980، ص 541

6 - ى .ع العزبي وآخرون: قاموس أكسفورد انجليزي عربي، ب ط ، دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر، ب ت، ص733 .

وانظر:

Colins English Dictionary: P 541

7- فولتير: رسالة في التسامح، ترجمة، هنريت عبودي، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا دمشق، 2009، ص49.

*فولتير: أسمه فرانسوا ماري آريه، ولد ومات في باريس، تخرج من معهد لوي لوغون رفض أن يدرس القانون،واتجه إلى الأدب له العديد من المؤلفات منها: كتاب (تاريخ شارل الثاني عشر)،(أنشودة للقديسة جنيفييف) مسرحية (أوديب) عام 1718 وهى مأساة فلسفية انتقاديه (ملحمة الهنرياذه) التي حارب فيها التعصب و (رسالة إلى اورانيا) (أديلانيد)،(بروتوس)،(زائير)،(موت قيصر)،(الزير أو الأميركيون)،(رسالة في الميتافيزيقا)،(مبادئ نيوتن)،(عصر لويس الرابع عشر)،(رسالة في التسامح) الخ. أنظر موسوعة أعلام الفلسفة، محمد أحمد منصور، ص233.

**الأسكندر الأكبر: هو الاسكندر الثالث و كان اسمه باليونانية الكسندروس و عرفه العرب بالاسكندر المقدوني، و لد في بيلا عاصمة مقدونيا الجديدة في خريف 356 ق.م، اعتلى الاسكندر عرش مقدونيا 336 ق.م، توفى في 13 يونيو 323 ق.م و رأي آخر 11 يونيو 323 ق.م. انظر. ايدرس بل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، بيروت، 1988.

*** الأبيقوريين: نسبة إلى مذهب (أبيقور351-270 ق.م EPICURUS) الذي يرى أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى، ويقر اللذة الحسية، ولكنه حول اللذة الحسية إلى مذهب في الزهد انظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيأة العامة للنشر، مصر، 1979م، ص2

**** أنكساجوراس: ولد في مدينة كلازوميتاني، في أيونية عام 500 ق.م. ثم ذهب إلى أثينا عام 480ق.م. واشتهر سنة 460، وتوفي 428 ق.م.

***** سقراط: فيلسوف يوناني، مؤسس الفلسفة الخلقية، أول من أهتم اهتماما ملحوظاً بدراسة السلوك الإنساني، وأول من حرص على إيجاد مقياس ثابت تقاس به خيرية الأفعال وشريتها، وأول من وضع مذهباً في السعادة، أنظر توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، ص22

8- المصدر السابق الصفحة ذاتها.

9- المصدر نفسه، ص50، راجع في محكمة سقراط محاورة الدفاع ، طبعات مختلفة.

* أريستيفانوس: مؤلف مسرحي كوميدي، يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة، وهو كاتبا كبيراً لمسرحيات هزلية ناقدة. تعكس مسرحياته روح أثينا في ذلك العصر،له العديد من المسرحيات منها (أهل أخاراتي - برلمان النساء - السلام - ومسرحية ليستراتي التي ركز فيها على مشاكل المرأة في المجتمع الاثيني تلك المسرحية كانت بمثابة نداء للسلام والتسامح ودعوة الى نبذ الحرب سريعاً) أنظر: محمد حمدي ابراهيم: نظرية الدراما الإغريقية، ط1، سلسلة أدبيات الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،1994،ص 246.

**جون لوك: فيلسوف انجليزي، أحد كبار النزعة التجريبية الإنجليزية، ولد بالقرب من بريستول، له العديد من المؤلفات منها: رسالة في العقل الإنساني - محاولة في الفهم الإنساني - رسالة في الأكليروس - خواطر في الجمهورية الرومانية - رسالة في التسامح - وفي الحكومة المدنية - معقولية المسيحية - خواطر في التربية أنظر يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969م،ص145.

**جون ستورت مل: فيلسوف انجليزي،تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه جميس مل، تعلم اللاتينية والحساب، إلى جانب قراءته للتاريخ العام، والأدب اليوناني واللاتيني، درس المنطق والقانون، انتخب عضواً بمجلس النواب سنة 1865، وبقى فيه ثلاث سنوات، له الكثير من المؤلفات منها: المنطق القياسي والاستقرائي - مبادئ الاقتصاد السياسي - مقال في الحرية - في النفعية أنظر تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم مرجع سبق ذكره، ص363.

10- رواه أبن حجر العسقلاني، لسان الميزان، حيدر أباد الدين، ج5 ، 1329هـ، ص233.

وكذا السيوطي جلال الدين، الدار المنثور، ج4، دار الفكر، بيروت، بت، ص342.

11- محمود حمدي زقزوق: التسامح في الإسلام ،مجلة التسامح، العدد1، سلطنة عُمان، 2003، ص14

12- محمد عبده: الإسلام والنصرانية، ب ط ، دار المنار، مصر، 1373هـ، ص53

13- محمود حمدي زقزوق: التسامح في الإسلام، ص18.

14- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تونس، 1968م، ص232

15- سيرتوماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م ، ص792،730.

وانظر: محمد عمارة: سماحة الإسلام، مجلة التسامح، العدد1 سنة 2003م.

16- كونستانس جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب : محمد التونجي، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، د.م، 1983م ، ص46

17- ابن هشام : السيرة النبوية ، ب ط ، دار المعرفة، بيروت، 1422هـ ، ص120 .

18- علاء الدين بن حسام الدين المتقي البرهان فوري: كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تحقيق: بكري حياتي - صفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة ، مصر،1401هـ/1981م ، ص 176/9

19 - محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري - الجامع الصحيح المختصر، حقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ/1987م، 57/10، رقم 270

20- أبن كثير: البداية والنهاية، ب ط، مكتبة المعارف، بيروت، ب ت، 301/4.

21- أبن القيم: زاد المعاد ، ب ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ب ت، 3/ 629.

22Vaglieri, Laura Veccia. An Intnterpretion of Islam, U. S.A .1958. P.26-

-23 Blyden.Christianty,Islam,and the Negro,Rece,1969, P254

* الجدير بالذكر أن الكتاب المقدس ونخص بالذكر"العهد الجديد" New Testament لم تحتوي أناجيله الأربعة كما هو وارد على تشريعات برغماتية لتنظيم حياة الإنسان كما هو الحال في القرآن الكريم الذي تنص آياته على تشريعات دقيقة لتنظيم حياة الناس في معظم شؤونهم. ولما كانت الأناجيل تحث على الفضيلة في مقولات عامة، فأن هذا النقص فتح باب إقحام من جاء بعد السيد المسيح لاجتهادات كنيسية لا تتوافق مع أهداف هذه الرسالة. الأمر الذي دفع بفكرة العلمانية في المجتمعات المسيحية.

24- جون لوك: رسالة في التسامح ، ترجمة منى أبو ستة، تقديم ومراجعة مراد وهبه، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، 1997، ص19.

25- المصدر نفسه، ص23

26- المصدر السابق ، نفس الصفحة، ص23

27- المصدر السابق ، نفس الصفحة، ص23

28- المصدر السابق، ص24-25

29- المصدر السابق، ص 25-26

30- نفس المصدر السابق ، ص 66

31-نفس المصدر، ص 57

32-نفس المصدر، ص28

33- نفس المصدر، ص17-18

34- فولتير: رسالة في التسامح، ترجمة، هنريت عبود ، ط1، دار يثرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص 12

35- المصدر السابق، ص158.

36- نفس المصدر السابق، ص159

37- نفس المصدر ، ص163

38- مانديلا أيقونة النضال والتسامح : جريدة الشرق الاوسط ، لندن ، العدد12793 ،7 ديسمبر 2013، ص5

39- المرجع السابق، ص5

40- السيد موسى: رسالة الراحل مانديلا للثوار العرب، جريدة النهار، 6 -12-2013، ص4

41- نفس المصدر السابق، ص5

42- سمير خليل، بين شرق وغرب، ب ط، دارالساقي، بيروت، 1992م، ص21.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

أولا: المصادر والمراجع العربية:

1- أبن حجر العسقلانى، لسان الميزان، حيدرأباد الدين، 1329هـ.

2- أبن القيم: زاد المعاد ، ب ط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ب ت.

3- أبن كثير: البداية والنهاية، ب ط، مكتبة المعارف، بيروت، ب ت .

4- أبن منظور ، لسان العرب ، مادة سمح ، المجلد 6، ط1، دار صادر، بيروت، 1997 .

5- ابن هشام : السيرة النبوية ، ب ط ، دار المعرفة، بيروت، 1422هـ .

6-احمد ابن حنبل، مسند الإمام احمد ابن حنبل، تحقيق: شعيب الارناؤوطي وآخرون، ط2 ، مؤسسة الرسالة، 1420هـ-1999م.

7- جلال الدين السيوطى، الدر المنثور، دارالفكر، بيروت (ب ت).

8- سمير الخليل: التسامح بين شرق وغرب، دار الساقي، بيروت، 1992م .

9 - شوقي أبو خليل: التسامح في الإسلام المبدأ والتطبيق، ط1، دار الفكر المعاصر ، بيروت، 1993 .

10 -علاء الدين بن حسام الدين المتقي البرهان فوري: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق: بكري حياتي- صفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة ، مصر،1401هـ/1981م.

11- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري - الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى

12- محمد حمدي إبراهيم: نظرية الدراما الإغريقية ، ط1، سلسلة أدبيات الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1994 .

13 - محمد عبده: الإسلام والنصرانية ، ب ط ، دار المنار، مصر،1373هـ.

14- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، تونس، 1968م.

16- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969.

ثانياً: المصادر والمراجع الاجنبية:

1- Blyden.Christianty,Islam,and the Negro,Rece,1969.

2- SARDAR. and M. W. Davies .why do people hate America, 2002.

3- Vaglieri,Laura Veccia.An Intnterpretion of Islam, U. S.A .1958.

ثالثاً: المصادر والمراجع المترجمة :

1- جون لوك: رسالة في التسامح ، ترجمة منى أبو ستة، تقديم ومراجعة مراد وهبه، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ، مكتبة الإسكندرية، 1997.

2- سيرتوماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

3- فولتير: رسالة في التسامح، ترجمة، هنريت عبود، ط1، دار يثرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2009.

4- كونستانس جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب : محمد التونجي، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.م، 1983م.

5- هنري ديك سترى: الإسلام خواطر وسوائح، ترجمة أحمد فتحي زغلول، ب ط، الناشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005 .

رابعاً: معاجم وقواميس:

1- دافيد كارفر وآخرون: معجم كولنز، ط1، لندن، 1980 .

2- ى .ع العزبي وآخرون: قاموس أكسفورد انجليزي عربي، ب ط، دار جامعة أكسفورد للطباعة، والنشر، ب ت.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيأة العامة للنشر، مصر، 1979م.

خامساً: دوريات وصحف:

1- السيد موسى: رسالة الراحل مانديلا للثوار العرب، جريدة النهارالللبنانية، 6 -12-2013

2- مانديلا أيقونة النضال والتسامح : جريدة الشرق الأوسط السعودية، لندن ، العدد12793 ،7 ديسمبر 2013

3 - محمد عمارة: سماحة الإسلام، مجلة التسامح، سلطنة عمان، العدد1 سنة 2003م.

4- محمود حمدي زقزوق: التسامح في الإسلام ، مجلة التسامح، العدد1، سلطنة عُمان، 2003 .